على انه اريد به المعنى الاخير اعني ماليس بكلام ويوصف بها
المتكلم ايضا يقال كاتب فصيح وشاعر فصيح والبلاغة وهي
تنبئ عن الوصول والانتهاء يوصف بها الاخيران فقط اي الكلام
والمتكلم دون المفرد اذ لم يسمع كلمة بليغة والتعليل بان البلاغة
انما هي باعتبار المطابقة لمقتضى الحال وهي لا تتحقق في المفرد وهم
لان ذلك انما هو في بلاغة الكلام والمتكلم وانما قسم كلاً
من البلاغة والفصاحة اذ لا يتعذر جمع المعاني المختلفة الغير مشتركة
في امر يعمها في تعريف واحد وهذا كما قسم ابن الحاجب المستثنى
الى متصل ومنقطع ثم عرف كلا على حدة فالفصاحة في المفرد
قدم الفصاحة على البلاغة لتوقف معرفة البلاغة على معرفة الفصاحة
لكونها مأخوذة في تعريفها ثم قدم فصاحة المفرد على فصاحة الكلام
والمتكلم لتوقفهما عليها خلوصه اي خلوص المفرد من تنافر الحروف
والغرابة ومخالفة القياس اللغوي اي المستنبط من استقراء
اللغة وتفسير الفصاحة بالخلوص لا يخلو عن تسامح فالتنافر وصف
في الكلمة يوجب ثقلها على اللسان وعسر النطق بها نحو مستشزر في
قول امرء القيس غدائره اي ذوائبه جمع غديرة والضمير عائد الى الفرع
مستشزرات اي مرتفعات ومرفوعات يقال استشزره
اي رفعه واستشزر اي ارتفع الى العلى تضل العقاص
في مثنى ومرسل تضل اي تغيب والعقاص جمع عقيصة وهي
الخصلة المجموعة من الشعر والمثنى المفتول يعني ان ذوائبه مشدودة
على الراس بخيوط وان شعره ينقسم الى عقاص ومثنى ومرسل

ومرسل والاول يغيب في الاخيرين والغرض بيان كثرة الشعر
والضابط ان كل ما يعده الذوق الصحيح ثقيلا متعسر النطق فهو
متنافر سواء كان من قرب المخارج او بعدها او غير ذلك على
ما صرح به ابن الاثير في المثل السائر وزعم بعضهم ان منشأ
الثقل في مستشزر هو توسط الشين المعجمة التي هي من المهموسة
الرخوة بين التاء التي هي من المهموسة الشديدة والزاء المعجمة
التي هي من المجهورة ولو قال مستشرف لزال ذلك الثقل وفيه
نظر لان الراء المهملة ايضا من المجهورة وقيل ان قرب المخارج
سبب للثقل المخل بالفصاحة وان في قوله تعالى الم اعهد ثقلا
قريبا من المتناهي فيخل بفصاحة الكلمة لكن الكلام الطويل
المشتمل على كلمة غير فصيحة لا يخرج عن الفصاحة كما لا يخرج الكلام
الطويل المشتمل على كلمة غير عربية عن ان يكون عربيا وفيه
نظر لان فصاحة الكلمات مأخوذة في تعريف فصاحة
الكلام من غير تفرقة بين طويل وقصير على ان هذا القائل فسر
الكلام بما ليس بكلمة والقياس على الكلام العربي ظاهر
الفساد ولو سلم عدم خروج السورة عن الفصاحة فمجرد
اشتمال القرآن على كلام غير فصيح بل كلمة غير فصيحة مما يقود
الى نسبة الجهل والعجز الى الله تعالى عن ذلك علوا كبيرا
والغرابة كون الكلمة وحشية غير ظاهرة المعنى ولا مأنوسة
الاستعمال نحو مسرج في قول العجاج ومقلة وحاجبا مزججا
اي مدققا مطولا وفاحما اي شعرا اسود كالفحم ومرسنا اي

Copyright © King Saud University